



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين
نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

قال الله تعالى: هَٰنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا (11) (سورة الاحزاب)

شرح الكلمات:

{هَٰنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ} اجتنبوا بالصبر على الإيمان
{وَزُلْزِلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا} اضطربوا اضطراباً شديداً من
شدّة الفزع، وخوفوا خوفاً بليغاً، ليخبرهم ربحهم، ويعلم -
علم ظهور - مبلغ صدقيهم، ووثوقهم بوعده

المعنى الاجمالي :

خندق رسول الله صلى الله عليه وسلم، على المدينة، فحصرها المدينة،
واشدت الأمر، وبلغت القلوب الخناجر، حتى بلغ الظن من كثير من
الناس كل مبلغ، لما رأوا من الأسباب المستحكمة، والشدائد الشديدة،
فلم يزل الحصار على المدينة، مدة طويلة، والأمر كما وصف الله: {وَإِذْ
رَأَيْتَ الْأَنْصَارَ وَتَلَبَّثَ الْقُلُوبُ الْخَائِجَاتُ وَتَطْتَوْنَ بِاللَّهِ الطُّنُونَ} أي:
الظنون السيئة، أن الله لا ينصر دينه، ولا يتم كلمته.
{هَٰنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ} بهذه الفتنة العظيمة {وَزُلْزِلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا}
بالخوف والقلق، والجوع، لبين إيمانهم، ويزيد إيمانهم، فظهر -والله
الخمد- من إيمانهم، وشدة يقينهم، ما فاقوا فيه الأولين والآخرين.

2

وقوله تعالى {هَٰنَالِكَ} أي في ذلك المكان والزمان الذي حرق العدو بكم
{ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ} أي اخبرهم ربحهم ليرى الثابت على إيمانه الذي لا ترعرعه
الشدائد والفتن من السريع الانحراف والتحول لضعف عقيدته وقلة عزمه
وصبره. وقوله تعالى {وَزُلْزِلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا} أي أرعجوا وحركوا حركاً شديداً
لعمول قوة العدو وكثرة جنوده، وضعف المؤمنين وقلة عددهم، وعامل
الجاعة والحصار، والبرد الشديد وما أظهره المحاققون من تحادل وما كشفت
عنه الحال من نقض بني قريظة عهدهم وانضمامهم إلى الأحراب.
ولقد أعطى رسول الله . صلى الله عليه وسلم . في هذه الغزوة . وغيرها من
الغزوات . القدوة العملية في مشاركته لأصحابه النعب والعمل، والآلام
والآمال.. فقد تولى المسلمون وعلى رأسهم رسول الله . صلى الله عليه وسلم
.. المهمة الشاقة في حفر الخندق.. ورغم طوله الذي بلغ خمسة آلاف ذراع،
بعرض تسعة أذرع، وعمق يقرب من عشرة أذرع، فقد تم إنجازها في سرعة
مذهلة، لم تتجاوز ستة أيام،

وكان مشاركة رسول الله . صلى الله عليه وسلم . الفعيلة، أثر كبير في الروح
العالية التي سيطرت على المسلمين في موقع العمل. ولقد حرص الرسول .
صلى الله عليه وسلم . في هذه الغزوة وغيرها من غزوات، على أن يؤكد
لصحابته وللمسلمين من بعدهم، أن النصر من عند الله وحده. ويظهر لنا
من هذه الغزوة أهمية الدعاء، فقد كان رسول الله . صلى الله عليه وسلم .
كثير النضر والدعاء، وخصوصاً في مغازيه، فحينما اشتد الكرب على
المسلمين حتى بلغت القلوب الخناجر وزلزلوا زلزالاً شديداً، دعا رسول الله .
صلى الله عليه وسلم . على الأحزاب فقال: (اللهم منزل الكتاب، سريع
الحساب، اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزمهم) (البخاري) . فاستجاب
الله . سبحانه . دعاء نبيه . صلى الله عليه وسلم . فأقبلت بشائر الفرج،
فصرق الله بحوله وقوته جموع الكفر من الأحزاب، وزلزل أديانهم وقلوبهم،
وشتت جمعهم باخلافهم، ثم أرسل عليهم الريح الباردة الشديدة، وألقى
الربح في قلوبهم، وأتزل جنوداً من عنده سبحانه . قال الله تعالى: { يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا أَكْثَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رَحًا
وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا } (الأحزاب:9) ..

3

فالدعاء سلاح هام في أيدي المسلمين، فالأسباب إذا كانت قليلة
بعوضها وتفضل عليها النضر إلى الله، والتوكل على الله، قال الله تعالى:
{ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ } (غافر: من الآية 60).

فوائد الإيتاء :

- تكفير الذنوب ومحو السيئات .
- رفع الدرجة والميزلة في الآخرة .
- الشعور بالتفريط في حق الله وأقام النفس ولومها .
- فتح باب التوبة والذل والانكسار بين يدي الله .
- تقوية صلة العبد بربه .
- تذكر أهل الشقاء والخرومين والإحساس بالآثام .
- قوة الإيمان بقضاء الله وقدره واليقين بأنه لا ينفذ ولا يضر إلا الله .
- تذكر المال وإبصار الدنيا على حقيقتها .

الواجب على العبد حين وقوع البلاء عدة أمور :

- (1) أن يتيقن أن هذا من عند الله فيسلم الأمر.
- (2) أن يلتزم الشرع ولا يخالف أمر الله فلا يتسخط ولا يسب الدهر.
- (3) أن يتعاطى الأسباب النافعة لدفع البلاء.
- (4) أن يستغفر الله ويتوب إليه بما أحدث من الذنوب.

الناس حين نزول البلاء ثلاثة أقسام:

- الأول: محروم من الخير يقابل البلاء بالتسخط وسوء الظن بالله وأقام
القدر. الثاني : موفق يقابل البلاء بالصبر وحسن الظن بالله.
- الثالث: راض يقابل البلاء بالرحا والشكر وهو أمر رائد على الصبر.

من الأمور التي تخفف البلاء على المبتلى وتسكن الحزن وترفع هم وتربط
على القلب :

- (1) الدعاء: قال شيخ الإسلام ابن تيمية: الدعاء سبب يدفع البلاء،
فإذا كان أقوى منه دفعه، وإذا كان سبب البلاء أقوى لم يدفعه، لكن
يخففه ويضعفه، ولهذا أمر عند الكسوف والآيات بالصلاة والدعاء
والاستغفار والصدقة.
- (2) الصلاة: فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر
فرع إلى الصلاة رواه أحمد.

4

هَٰنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا

سلسلة تفسير القرآن العظيم الإصدار رقم (650)



هذا هو الحق



قوة القضاء

قوة ولا تباع
ولا تسون من صالح دعائكم

أعدها عزمي إبراهيم عزيز

1

عليه وسلم- في هذه الغزوة، سواء التي كانت في حفر الخندق، أو تكثير
طعام جابر، أو الرياح التي كانت عذاباً من الله على المشركين، فهي من تأكيد
الله لرسوله والمؤمنين، وإقامة الحجة على أعداء الدين.

9-أن النصر في المعارك لا يكون بكثرة العدد، ووفرة السلاح، وإنما يكون
بقوة الروح المعنوية لدى الجيش، وقد كان الجيش الإسلامي في جميع معاركه،
يمثل العقيدة القوية والإيمان المقدس، والفرح بالاستشهاد، والرغبة في ثواب الله
وجنته.

10-أن المنح تخرج من رحم الخن، فهذا رسول الله -صلى الله عليه وسلم-
في هذا الطرف القاسي والشديد، والصحابية في حصار وجوع، وخوف شديد
يضر الصخرة، ويشهرهم بكثرة كسرى، ودخول المدائن، وفتح اليمن، الله
أكبر! إن زعامة الأمل في مثل هذا الطرف ليدل على مدى ثقة القائد بوعده
الله ونصره ورباطة الجأش والطمأنينة الكبيرة.

11-أصدر النبي -صلى الله عليه وسلم- قراره بضرب الخندق على
المدينة، غيل فيه- صلى الله عليه وسلم- بنفسه - مشاركة، و تزيينا
للمسلمين في الأجر، وتحميساً لهم - وتواضعاً منه - صلى الله عليه وسلم -
فلا يليق بالقائد المسلم أن يجلس في رعد وهو على القرائش اللين الدفاء من
خلف جنوده الذين يتضاغون وجوعاً ويرتعدون من البرد شمال المدينة حيث
أعمال الحفر.

12-أن البلاء إنما يكون خيراً، وأن صاحبه يكون محبوباً عند الله تعالى، إذا
صر على بلاء الله تعالى، ورضي بقضاء الله عز وجل.

13- إن الله سبحانه ضمن نصر دينه وحزبه وأوليائه القائمين بدينه علماً
وعملاً ولم يضمن نصر الباطل ولو أعقده صاحبه أنه محق، والعزرة والعلو
لأهل الإيمان والتقوى الصابرين الخسبين قال تعالى: فله العزة ولرسوله
والمؤمنين وقال: ولا تخفوا ولا تحزنوا وأنتم الأهلون إن كنتم مؤمنين.

14- لا يمر يوم من أيام هذه الحياة إلا ويحل في الخلق من المصائب الكبيرة
والصغيرة ما الله به اعلم، كالكفر والمرض والموت والهموم والمشاكل والظلم
والضوايق النفسية والاجتماعية فعلياً إن تستقبل ذلك راضين محتملين ليرد
مر المصيبة ولترفع بما عند الله الدرجات وتطمح السيئات.

والله اعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

6

- (3) الصدقة" وفي الأثر "داوود مرضاكم بالصدقة"
- (4) تلاوة القرآن: " ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين"
- (5) الدعاء المأثور: "وبشر الصابرين الذين إذا أصابهم مصيبة قالوا إنا
لله وإنا إليه راجعون" وما استرجع أحد في مصيبة إلا أخلفه الله خيراً منها.

القوائد:

- 1- عرض غزوة الأحزاب أو الخندق عرضاً صادقاً لا أمل منه في عرض
الأحداث للعة.
- 2- بيان أن غزوة الخندق كانت من أشد الغزوات وأكثرها أملاً وتعباً
على المسلمين.
- 3- الإيمان والتقوى سببان للمحنة والابتلاء، وثمن الثبات عليهما جنة
عرضها الأرض والسما، وقد حفت الجنة بالمكاره كما حفت النار
بالشبهات، وأفاضل الخلق من الرسل والأنبياء عليهم السلام كانوا أعظم
الناس بلاء، وأشدهم امتحاناً.
- 4- أن اجتماع الأحزاب وأعداء الإسلام على الدين وأهله عادة ماضية
في كل زمان ومكان، فلا تقطع عداوتهم، وفي ذلك حكمة بالغة في
الرجوع إلى الله، وصدق التوكل عليه، والإنابة والذل وإظهار الحاجة،
وبذل العالي لهذا الدين.
- 5- يحفظ عباده المؤمنين في معاركهم ويهدم جيش من عنده ولا
يضيعهم، كما أنزل عليهم الملائكة يوم بدر، وأرسل الريح في غزوة
الأحزاب.
- 6- يجب على المسلمين إعداد العدة، واتخاذ وسائل القوة الممكنة مهما
كان مصدرها، لأن الحكمة صالة المؤمن، فحينما وجدها أخذها، فحفر
الخندق يدخل في مفهوم القوة لقوله تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ
قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْجَوْنَ بِهِ عِذُّ اللَّهِ وَعَذُّكُمْ} (60) سورة الأنفال.
- 7-أن النبي -صلى الله عليه وسلم- أعطى مثلاً حياً على رافته
بالمؤمنين، حيث شاركهم في حفر الخندق، ويوم أشركهم معه في طعام
جابر، ولم يستأثر به.
- 8-أن المعجزات الكثيرة التي أجراها الله على يد نبيه محمد -صلى الله

5